على هذه الحال ان ينزعن البراقع فجأة دون تدريج اعوام واحقاب وفي هذه الفجأة من الضرر ما لا يخفى

غناهم وفقرنا

لا شيء اظهر لعيوبنا وتقصيرنا مثل المقابلة بيننا وبين الغربيين الذين كان سبقهم في ميدان الحضارة والمدنية اعظم باعث للشجن في قلوبنا كلما قرأنا حسنة عندهم وقابلناها بسيئة عندنا . والحقيقة انه لولا تقدمهم لما كنا شعرنا بمقدار تأخرنا ولا رأينا مسافة البعد بيننا وبينهم فانما الاشياء تتبين باضدادها ومن هذا القبيل فن التمثيل وهو وان يكن من الكماليات في حقيقة المدنية والتقدم الا اننا نتخذه شاهداً للدلالة على البون الشاسع الذي يفصلنا عنهم وقس عليه سائر امورهم وامورنا

ونحن لا نريد ان نتكلم هنا عن الممثلين انفسهم وما كتب للمشهورين منهم من الذكر الخالد في صفحات المجد وما احرزوه من الثروة الطائلة فانه شيء معروف عند الاكثرين منا الذين يرون باعينهم اي اقبال يكون عليهم عند قدومهم لهذه الديار حتى لتصبح اسعار المحلات في صعودها ورواجها كاسعار القراطيس المالية وقدوم ممثل شهير الى هذه الديار ليس بالحادث اليسير عند الاجانب هنا فنحن نرى باعيننا ونسمع باذاننا اي شأن خطير يكون له وكيف يعتدونه كأهم الانباء واجلها فيستعدون له بالاهتمام الزائد وينتظرونه بذاهب الصبر فاذا ما علمت ذلك بطل عجبك مما تراه عند حكومتنا الحكيمة

من العناية الكبرى بامر التمثيل وما تتكلفه في هذا السبيل من النفقات الجمة ارضاء للاجانب النازلين بين ظهرانينا وللسياح القادمين الينا في فصل الشتاء ولولا تيقنها بان التمثيل هو مما لا يستغني عنه الغربي وانه من اكبر مسراته وملاهيه لما كانت لها هذه العناية وهذا الالتفات الخاص

ويخال لنا ان القراء الكرام لم يجهلوا ما كان عند قدوم الممثل الايطالي الشهير المسيو نوفلي وكيف ان النزالة الاجانب لم يكتفوا بان ادبوا له تلك الوليمة الشائقة واشبعوه فيها من الاطراء والثناء حتى قام فيهم خطيباً فنصل دولة ايطاليا وهو الممثل الرسمي لحكومته في مثل هذه الحفلة والمتكلم بلسانها فقال مفاخراً بالممثل اني اتنازل اليوم عن وظيفتي الرسمية بوجود المسيو نوفلي واعتبره الان بيننا هو الممثل الحقيقي لايطاليا فهل بعد هذا الكلام من تعظيم وتكريم وهل قيل مثله لامير او وزير . تالله انه لاجل ما يطمع فيه انسان من المكافأة ومنتهى ما يتمناه رجل من مجد وعلاء ولكن لا عجب ان يصدر ذلك عن الغربيين فانهم ذوو فضل وعلم يقدرون بهما اهل الفضل والعلم منهم خصوصاً من كان سمر لياليهم وانس نواديهم وملاهيهم ومرآة حاضرهم وماضيهم

هذه هي حالة الممثلين عند الغربيين وهي كما قلنا معلومة عند الاكثرين ولكن الذي نريد ان نعلمه لهم وهو ما قد يكون مجهولا عند القسم الاكبر انما هي حالة موئلي الروايات التمثيلية فقد قرأنا في احدى الجرائد الفرنساوية ان بين جميع فنون الادب وفروعها ليس الان اروج من فرع التمثيل فليكن الكاتب كيف شاء القدر رئيساً في الكتابة او شريكاً فيها وليكن له فقط موهبة العلم بالملاعب فقد يثق انه امسك الشهرة والمال بناصيتيهما وضمن السعادة وخلود

الذكر. ولتأييد كلامها بالبرهان اوردت ادلة كثيرة منها ان الكاتب اوجين سكريب لم يكن يعد قط في طبقة الكتاب المجيدين ولكنه خلق مفطوراً على التمثيل فمال اليه وبرع فيه اتم براعة حتى صار شهيراً من اجل ذلك وعين عضواً في جمعية العلماء (الاكاديميه) ومات مغموراً بالمجد والشهرة والمال. وقد مات، من نحو شهرين المسيو دينيري عن ثروة تعد بالملايين ولم يكن الا كاتباً للروايات التمثيلية. ومثله المسيو ادوار باليارون الذي توفي حديثاً فقد كان عضواً في جمعية العلماء وخلف بعده ثروة تقدر بمئات الاف من الفرنكات اتت كلها من تأليف الروايات

ثم قالت ولدينا الان في قيد الحياة اربعة من امثالهم آخذون في بلوغ المليون ومنهم فيكتورين ساردو الذي كان لروايته الاخيرة المسماة «روبسبيير» التي كتبها للملاعب الانكليزية خصوصاً أكبر نجاح يحمل على الرجاء بانها ستستعاد مئات مرات وتأتي بالارباح الطائلة. ومنهم ادمون روستاني صاحب رواية «سيرانو دي برجيراك» التي مثلت حتى الان اربعمائة مرة واتت بالارباح الوافرة. وقد عدلت مقدار المال الذي دخل من رواية «ابنة مدام مانجو» فبلغ منذ انشائها حتى الان نحو تسعين مليوناً من الفرنكات. وهذا ليس بالرقم القليل وان لم يكن كله قد عاد الى خزانة المؤلف. ولكن دخلاً كهذا من رواية واحدة يعد من الامور النادرة

انتهى كلام الجريدة ملخصاً ونحن نورده لا لنزيد في ايلام عواطف كتابنا بعد ما عرفنا ان اشد ما يحزننا هي المقابلة بين حالتنا وحالة الغربيين ولا لندفع بالناس الى الاقبال على هذا الفن الشريف الذي ما كان ليبلغ عند الغربيين هذا الشأو البعيد لولا اعتقادهم بعوائده ومنافعه الادبية ولا لحمل

الحكومة على الاخذ بناصره وقد بح صوت الجرائد في الاسترحام والاستعطاف على غير جدوى ولا طائل ولكن لنقول اولاً لمن يبحث في اسباب ترقي الغربي وتأخر الشرقي كيف يقف على امثال هذه الحقائق ويدري كيف عاش ومات خير كتابنا والمؤلفين عندنا ثم يتردد في معرفة تلك الاسباب. ولنبين ثانياً كيف تمهد امام الاديب عندهم طريق العلى والمجد حتى ينبغ ويأتي بالمعجزات اذا كان عنده تهيوء واستعداد لذلك ثم كيف تسد في وجه الاديب عندنا تلك الطريق فيعود وقد مسخ ذكاؤه فقراً وذلاً وهواناً

واننا وايم الحق ما كنا لنحب ان نكثر من هذه المقابلات لما فيها من الحقائق المؤلمة خشية ان يبلغ اليأس من كتابنا بسببها فيكسروا القلم ويعرضوا عن الاشتغال بما لا يعود عليهم بفائدة او نفع وتصبح البلاد بعد ذلك عاطلة منهم. ولكنا لا نجد مندوحة عنها لما فيها مع ذلك من التنبيه للغافل وقد قيل ذكرهم عسى تنفع الذكرى

﴿ الحقيقة في خبائها ﴾

يا غادة من دونها السترُ ... ماذا حوى من حسنك الحذرُ
اخفاك عن عين المحب ولا ... صبر لديه فينفع الصبر
هل كنت سراً فهو يكتمه ... كالحر يكتم عنده السر
ما كان ضرك لو رحمت فتى ... اودى به في حبك الضر